

الكشف عن مساوئ المتنبى

الصّاحِب، أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد

385-326هـ

(عرض: عبد الله الرميحي)

أ- ترجمة:

اتصل الصّاحِب بوزير آل بويه، أبي الفضل محمد ابن العميد، وتولى منصب الكتابة لديه، ترقّى ليصل إلى الكتابة لدى الأمير مؤيّد الدولة البويهى، وكان في الحادية والعشرين من عمره، ثمّ ظل على ذلك حتى سنة 366هـ، حيث صار وزيراً لمؤيّد الدولة ثمّ فخر الدولة حتى وفاته سنة 385هـ.

درس على خيرة العلماء كأبي سعيد السيرافي، وأحمد بن فارس، والوزير ابن العميد، وابن مقسّم، وغيرهم. وكاد يقوم الإجماع على الاعتراف به ككاتب بليغ وشاعر مجيد، ذي نظر صائب في النقد، ومنهج خاصّ في النشر.

ب- هيكل الرسالة:

- ١ - الرسالة قبل ديباجتها تعنون بتوجيه لـ أبي الحسين، حمزة بن محمد الأصبهاني.
- ٢ - يذم مطلع مقدمته الهوى والعصبية "الناس متفقون على أنّ تغلّب الأهواء يطمس أعين الآراء".
- ٣ - الرسالة جواب عن سؤال سائل معجبٍ بالمتنبى عن رأي الصّاحِب فيه (لم يصرح باسمه)، غير أنّه "بعض من يتوسّم الأدب"، حيث طلب تقييد ملاحظات الصّاحِب على شعره.
- ٤ - الصّاحِب يتحاشى تطلّب العثرات، وتتبع الزلات (في طلب السائل مخرج!).
- ٥ - لم يورد مما زلّ فيه إلا القليل.
- ٦ - بأسلوبٍ قاسٍ ومتهمٍ ينعى على كثير ضعف نقدهم:

وهم دون الثرى ، وقد يوهمون انهم يعرفون^(١٧) ، فاذا حكموا رأيت
بهائم مُرْسَلَةً^(١٨) ونعائم مجفلة •

٧ - ما رأيت في نقد الشعر كابن العميد:

أصحاب أحمد بن يحيى ثعلب^(٢٢) ، فما رأيت مَنْ يعرف الشعر حقَّ
معرفة ؛ وينتقده^(٢٣) نقد جهابذته ؛ غير الاستاذ الرئيس أبي الفضل بن
العميد ، أدام الله أيامه ، وحصَّن لديه إنعامه ، فانه يتجاوز نقد الأبيات

٨ - الشناء على مقولة الجاحظ المعروفة في أن نقد الشعر الحقيقي إنما هو عند الكتاب ، ومقولة البحتري عن
الدفع لمضايق الشعر.

٩ - ما يذكره عن أبيات المتنبي يستوي فيها الرِّيّض والمرتاح في المعرفة بسقوطها.

١٠ - السرقة لا عيب فيها ويعرّض بالمتنبي:

فأما السرقة فَمَا^(٩٨) يُعَابُ بها ؛ لاتفاق شعراء^(٩٩) الجاهلية
والاسلام عليها ، ولكنَّ [يُعَاب] انه كان يأخذ من الشعراء المحدثين
كالبحتري وغيره جُلَّ المعاني ثم يقول : لا أعرفهم ولم أسمع بهم ، ثم
يُنشِد أشعارهم فيقول : هذا شعر عليه أثر التوليد •

١١ - الملاحظات:

- جمع الإحسان والإساءة في بيت واحد:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها / وقوف شحيح ضاع في الثرب خاتمه

- بيت رقية عقرب أقرب منه إلى الفهم:

نحن من ضايق الزمان له في/ لك ، وخاتته قربك الأيام

فان قوله : « له فيك » لو وقع في عبارات الجنيد أو الشبلي^(١١)

لتنازعت الصوفية دهرًا طويلاً^(١٢) •

- كلمة (مسطر) في:

رواق العزِّ فوقك مسطرٌ

ولعلَّ لفظة (٢٣) «الاسطرار» في مرثي النساء من الخذلان الصفيق
[الدقيق المغير] (٢٤) . نعم وهذه القصيدة يظن المتعصبون له انها من
شعره نهاية (٢٥) كقوله عز وجل : (يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
وغيض الماء) (٢٦) وكقوله : (فاصدع بما تؤمر) (٢٧) .

- استعارة حداد في يوم عرس:
صلاة الله خالقنا حنوطاً / على الوجه المكفّن بالجمال
- نقده للبيت الذي يقول فيه:

أيفطمه التورابُ قبل فطامه
ويأكله قبل البلوغ الى الأكل (٥١)
وما أدري كيف عشق التوراب حتى جعله عوذة [١١/ب] شعره ،
[وليس ذلك سائغاً مثله ؛ وهو وليد قرية ، ومُعلّم صبية] (٥٢) .
- ولليت:

وقد ذقتُ حلواءَ البنين على الصبا
فلا تحسبني قلتُ ما قلت عن جهل (٥٥)
وما زلنا نتعجبُ من قول أبي تمام :
لا تسقني ماء الملام فأنني صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائي (٥٦)
فخفَّ علينا بـ « حلواء البنين » ، ولحقَّ ما قال أبو بكر بن أبي
قحافة لعل بن أبي طالب : « وما من طامةٍ الا فوقها طامة » .

وَكُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ كَلَامِ أَبِي يَزِيدَ الْبَسْطَامِيِّ فِي الْمَعْرِفَةِ ؛ وَالْفَاضِلِ
الْمُعَقَّدَةِ ؛ وَكَلِمَاتِهِ الْمُبْهَمَةِ ، حَتَّى سَمِعْتُ قَوْلَ شَاعِرِنَا هَذَا فِي صِفَةِ فَرَسٍ :

وَتَسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ

سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ (٧٥) .

وَلَهُ بَيْتٌ " لَا أَدْرِي أَمَدَحَ الْمُقُولَ لَهُ أَمْ رَقَاهُ (٩٢) " وَهُوَ قَوْلُهُ :

شَوَائِلُ تَشْوَالِ الْعُقَارِبِ بِالْقَنَا

لَهَا مَرَّاحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصْهِيلُ (٩٣) .

وَمِنْ أَبْيَاتِهِ السَّنِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ قَوْلُهُ :

لَعُظُمْتُ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً

مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جَبْرِينُ (٣٣) .

وَقَلَّبُ هَذِهِ اللَّامِ بِالنُّونِ (٣٤) أَبْغَضُ مِنْ وَجْهِ الْمُنُونِ ، وَلَا أَحْسَبُ

جَبْرِيلَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - (٣٥) يَرْضَى مِنْهُ بِهَذَا الْمَجَازِ الْمَحْرَمِ ، وَاللَّهُ

- عَزَّ وَجَلَّ - أَعْلَمُ ، [هَذَا عَلَى مَا فِي مَعْنَى الْبَيْتِ مِنَ الْفَسَادِ

وَالْقَبْحِ] (٣٦) .

وَبَلَّغْنِي أَنَّهُ كَانَ إِذَا أُتِّشِدَ شَعْرُ أَبِي تَمَامٍ قَالَ : هَذَا نَسِجٌ مَهْلَهْلٌ

وَشَعْرٌ مَوْلَدٌ ؛ وَمَا أَعْرِفُ طَائِيَكُمْ هَذَا . وَهُوَ دَائِبٌ (٦٨) يَسْرِقُ مِنْهُ وَيَأْخُذُ

عَنْهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ (٦٩) مَا يَسْرِقُهُ فِي أَقْبَحِ مَعْرُضٍ (٧٠) كَخَرِيدَةٍ [١٧/ب]

وَلَهُ وَقَدْ غَاصَ فَأَخْرَجَ جَنْدَكَةً (٤) :

لو لم تكن من ذا الوري اللذ منك هو

عقمت بمولد نسلها حواء (٥)

وانا أقول : ليت حواء عقمت ولم تأت بمثله ، بل ليت آدم
أجفّر (٦) فلم يكن من نسله • وما أظرف قول الحسن (٧) :

وله يريد أن يزيد (٤٤) على الشعراء في وصف المطايا فأتى بأخزى
الخزايا فقال :

لو استطعت ركب الناس كلهم

الى سعيد بن عبدالله بعرانا (٤٥)

ومن الناس أمة فهل ينشط لركوبها ، والممدوح أيضاً لعل (٤٦)
له عصبه لا يحب أن يركبوا اليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا
التسحب (٤٧) وأوضع من هذا التبسط •

اني على شغفي بما في خمرها

لأعف عما في سراويلاتها (٥٢)

وكثير (٥٣) من العهر أحسن من عفاف هذا الشاعر (٥٤) •